

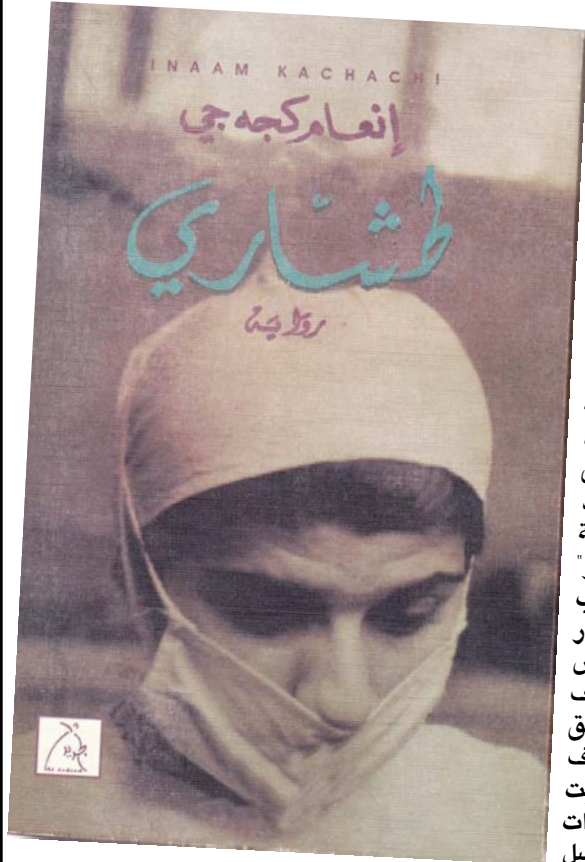
الوقت يابى

نصوص | احمد الشياخي يؤله السراب وسمية العبيدي في قصة عنوانها سيرة كفيين

أضواء | أزمنا إيمان السما في مقالة وشاعرة ترفض الثنائيات وقاص يرجع تطوره إلى كتاب السرد الكبار

فنون | إضاءة لهرجان كان السينمائي 2017 ورسالتان من بغداد وأخرى من نيويورك

الحلم بلّم الشمل في رواية طشاري سيرة شخصية لتاريخ العراق السياسي المعاصر



طبيعية تبني حياتها معه وتعرف إلى أين تمضي بهما الأيام . لكن الحرب بل شوشتا الصورة وقذفت بهما إلى الأردن (ص 181) لتبدأ رحلة المتاعب . تصف الرواية حجب معاناة هذبة عندما كان زوجها سلام قد استندى للخدمة العسكرية و بدأت الحرب وانفتحت نار جهنم (ص 181) . كما تصف ما حدث في طريق الموت عند توقف معركة الكويت وانسحاب القوات العراقية: يصل سلام أشعث أغبر

عامة أو فريضة من العامة ، مستعارة من أكثر من لهجة ، بدءاً بالعنوان "طشاري" (التي تعني صخرة صغيرة بلهجة الموصل) و صخر جلمود و "ناس ملاح (بلهجة المغرب) و إنت منين و بيطني و انهجول و افلاف ، فاجتازت كل الامتحانات المطلوبة للبحث عن عمل ، لتبدأ بعدها رحلة البحث عن اللجوء الانساني ، وهي رحلة تحملت هذبة جزءاً كبيراً من مهمة تحقيقها وفي كندا التي وافقت على قبول لجوء الأسرة كان عليها أن تتحمل عناء السعي للاعتراف بشهادتها لتعبيبيها فاجتازت كل الامتحانات المطلوبة لذلك . وحين تم تنسيبها للعمل في محمية للهنود الحمر في منطقة نائية، كان عليها أن تحمل معها ابنتها الرضيعة بالطائرة في رحلة أسبوعية ، متقلبة بها بين موقع عملها ومحل إقامتها ، ست ساعات في الطائرة ذهاباً ومثلها في العودة . ولم تكن معاناة أسرة أم سكندر وهي في فرنسا أقل من معاناة هذبة . لقد سبقت عمته ودية في اللجوء هي وأسرتها الصغيرة ، لكنها ترفض العودة إلى بغداد رغم أنها تقول عنها ان "الشوق إلى بغداد يجلدني كل يوم وينفذ في حد الهجر والتكرار . فارقها ولم أشبع منها . أحلى الحوادق وموطن الحب الأول (ص 108) وكان الإهتمام متبادلاً بين هذبة وأمها . فقد بذلت جهوداً من أجل وصولها إلى كندا لمعالجة ألم ركبتيها التي تشكو منه ، لكن نفقات اجراء العملية فاجتحت قائله : "أخ من هاتين الركبتين حتى كندا ليست مستعدة لتحمل نفقات علاجها : " يحضرون في التحاللات والحروب ، يرسلون الجنود والطائرات . يقصفون ويقتلون ويحاصرون . ثم يولون أو يحفرزات (ص 172) حيث تذكر موتاهم . وكان ابنها براق ، يتشارك ، وهو صغير ، في طقوس عاشوراء في المدينة .. وكانت تعرف أنها : " لا يسفغ لها أنها طبيعية أتية من العاصمة لكي يثق بها الأهالي . أن لكل محيط رموزه . لكل قفل مفتاحه ، ومفتاح نساء المدينة في عب العلوية شذرة (ص 60) التي ستقتحم مجرى الأحداث بقوة شخصيتها ومكانتها الدينية وموقعها العشائري ، وكانت ودية في حاجة إلى رمز بهذا المستوى تحتمي به وييسر مهمتها . وشذرة ، كما تقول الروائية : " امرأة نسج وحدها . نظرتها مسبار وكلامها ماء ورد وأديعتها بلاسم ، تستعد احترامها من لقبها الديني الذي يشهد أنها من آل الرسول (ص 60) وهكذا جمعت الرواية بين العلمي والروحاني فاستغلت ودية هذه الخصيصة لصالحها ، فقد طمأنتها العلوية ووعدها بان تروج لها بين النساء . كانت متنفذة ومطاعة ومرهوبة الجانب (ص 63) وهي النموذج الذي كانت الدكتورة تبحث عنه وتحقق لها ذلك . كسبت ثقة نساء المدينة إلى الحد الذي صرن يحرصن على الذهاب إلى عيادتها في بغداد بعد انتقالها من المدينة . كان الحس

و ستواجه مخاطر المهنة وستسهر على نار أو تنام فريضة العين . وستعقد أوطد الصداقات وتخالط اشكالاً من الناس وتتعلم كيف تتعامل معهم: فرائداً ذا أسمال أو إقطاعياً صاحب أطيان (ص 34) . كان ذلك منتصف خمسينيات القرن العشرين حيث كان النسيج الاجتماعي العراقي ما زال متماسكاً ولم تكن سلسلة الحروب قد بدأت لتخلخل هذا النسيج قياتي الاحتلال ليمسح كل أثر للتماسك . تصف الرواية الديوانية آنذاك فتقول عنها وعن صلة ودية بها ، أنها : " مدينة هادئة ومتكشفة ومحافظه وتشبه شخصيتها . مضت إليها أول ما مضت بكثير من التهيب وكأنها تنهض من مهد ميلادها وتسير إلى نعشها . كل ما عاشته قبل الديوانية قشرة يصل . وكل ما ستعيشه فيها سيد جنورا ويرسج وينمو ويتفرع ويخضوضر ويبرعم ويطرخ التمام وهي ستورخ لهذا المكان مسقطاً لقلبها (ص 31) في تقويم إيجابي للمدينة . ولعل من أبرز سمات الديوانية آنذاك أنها مدينة تسامح ديني و تعايش بين المكونات وكان غير المسلمين فيها يعيشون بحرية . فالدكتورة ودية ، وهي مسيحية ، كانت تسير سافرة وتقود سيارتها في شوارع المدينة المحاطة دون أن يعترض او يعترض لها أحد . أما اليهودي صاحب محل الطابوق أبو يعقوب فقد ظلت عائلته تعيش بسلام إلى أن تم تعلق المشائق في ساحة التحرير ، خاف الرجل من أن يصله الدور فآثر أن يهاجر . وفي مقابل الاحترام الذي حظلت به ودية في الديوانية ، ومن باب رد الجميل ، بذلت جهوداً لاستثنائية لخدمة أهلها بادئة بالمستشفى الذي كان الريديات مثل سوق شعبي . في كل منها عشرة أسرة يقيم فيها عشرون مريضاً نصفهم يرقد على الأرض (ص 18) . ووجدت أن من المعيب أن يتفكر لاية صالحة لتوليد مما يجرح النساء أثناء الولادة ، فتحركت على المسؤولين ولم يهدأ لها بال إلى أن أقلحت في تحول إحدى الشرفاء في المستشفى إلى صالة نظامية للولادة مهنيها . كان عليها أن تكسب ثقة نساء المدينة كما تقتضي مصطلحتها وعوامل نجاحها في عملها وشهرتها وهي داخل وسط محافظ وعشائري ، فتحركت في هذا الاتجاه ولكن بذكاء وحذر . كانت تحضر مجالس العزاء التي تقيمها النسوة في بيوتهن في المناسبات الدينية وتفعل مثلما يفعلن : " في الفريات تنساب دموع ودية بدون أرجال أو محفرزات (ص 172) حيث تذكر موتاهم . وكان ابنها براق ، يتشارك ، وهو صغير ، في طقوس عاشوراء في المدينة .. وكانت تعرف أنها : " لا يسفغ لها أنها طبيعية أتية من العاصمة لكي يثق بها الأهالي . أن لكل محيط رموزه . لكل قفل مفتاحه ، ومفتاح نساء المدينة في عب العلوية شذرة (ص 60) التي ستقتحم مجرى الأحداث بقوة شخصيتها ومكانتها الدينية وموقعها العشائري ، وكانت ودية في حاجة إلى رمز بهذا المستوى تحتمي به وييسر مهمتها . وشذرة ، كما تقول الروائية : " امرأة نسج وحدها . نظرتها مسبار وكلامها ماء ورد وأديعتها بلاسم ، تستعد احترامها من لقبها الديني الذي يشهد أنها من آل الرسول (ص 60) وهكذا جمعت الرواية بين العلمي والروحاني فاستغلت ودية هذه الخصيصة لصالحها ، فقد طمأنتها العلوية ووعدها بان تروج لها بين النساء . كانت متنفذة ومطاعة ومرهوبة الجانب (ص 63) وهي النموذج الذي كانت الدكتورة تبحث عنه وتحقق لها ذلك . كسبت ثقة نساء المدينة إلى الحد الذي صرن يحرصن على الذهاب إلى عيادتها في بغداد بعد انتقالها من المدينة . كان الحس

عاشرة في دبي (حيث تقيم ابنتها ياسمين (. مازالوا في منتصف الليلة الماضية في مانيوتوبا (حيث تقيم ابنتها هذبة وأسرتها في كندا(وهي الواحدة بعد منتصف الليل في هايتي (حيث يقيم ابنها براق) . وإلى جانب ذلك توظف الرسائل كوسيلة لتذكّر أولادها الغائبين ، فالرسائل وسيط أمين لتقل المشاعر ، لذلك كانت تحتفظ بها وتحافظ عليها بحرص : " تسوف ويقارعها كاس الكريستال . لو ركبت هذبة الطائرة من كندا ورافقتها إلى الألبانية . لو حضر ابنها براق من تلك الجزيرة النائية وتابط ذراعها . لو صدعت ياسمين إلى أعلى برج في دبي ونطقت إليها (ص 16) ، إنها محنة الأم التي تفرق بناؤها وتركوها وحيدة وجعلها ذلك تشعر " كان جزاءاً تناول ساطوره وحكم على أشلائها أن تفرق في كل تلك الأماكن (ص 17) وتحلم مع ذلك بلم شتات أسرتها في يوم من الأيام . لقد احدثت الظروف المستجدة وضعاً خاصاً مأساوياً فتح الباب على سعته للهجرة واللجوء والتشتت الاسري : " هكذا هو أطلس الولايات صغرى بنات ودية تصف الرواية بمرارة السخرية عملية زواجها فتقول أنها " شحنت " إلى عريستها في دبي ولم تكن قد راته منذ سنوات . وأسكندر هذا هو ابن الرواية التي هي الروائية نفسها ، وهو حفيد سليمان شقيق ودية الكبير المولع باللغة العربية ويتكلم بالفصحى (وهو عسكري) باسم " سليمان " بالضم على السنخ الرواية منحي سيرياً حيث يتم التأكيد بشكل خاص على سيرة شخصية رئيسية فيها وسيرة مدينة يدور فيها جزء مهم من الأحداث مع التعرض لجانب من تاريخ العراق السياسي المعاصر . أما الشخصية المعنية هنا فهي الدكتورة ودية التي عاشت طفولتها وصباهها في الموصل وشبابها في بغداد حيث أكملت دراستها الجامعية في الكلية الطبية دون رغبة منها فقد ساقها إليها معدلها العالي في الامتحان الوزاري مصحوباً برغبة أهلها ، وبشكل خاص ضغوط أخيها الكبير سليمان وكانت هي تتمنى أن تكون معلمة تشبهها بأختها . تم تعيينها ، بالقرعة ، طبيبة في مستشفى الديوانية وكانت خائفة وهي في القطار ، بصحبة أختها التي تكبرها سناً ، في أول سفرة لها إلى هناك . لكنها فوجئت بحشد من المسؤولين والأطباء ووجهاء المدينة في استقبالها في المحطة ولم تكن تتوقع ذلك . وربما ترك ذلك الإستقبال أثرأ " نفسياً إيجابياً عليها فيما بعد . لقد كانت تعتقد ببداء الأمر أنها لن تصمد في الديوانية أسابيع وليس عاماً واحداً كما هو مقرر لها ، لكنها مكثت هناك ربع قرن وتزوجت وأنجبت أطفالها وغادرتها وهي في سن الكهولة . في الديوانية ستعيش أحلى سنوات شبابها .

ناطق خلوصي

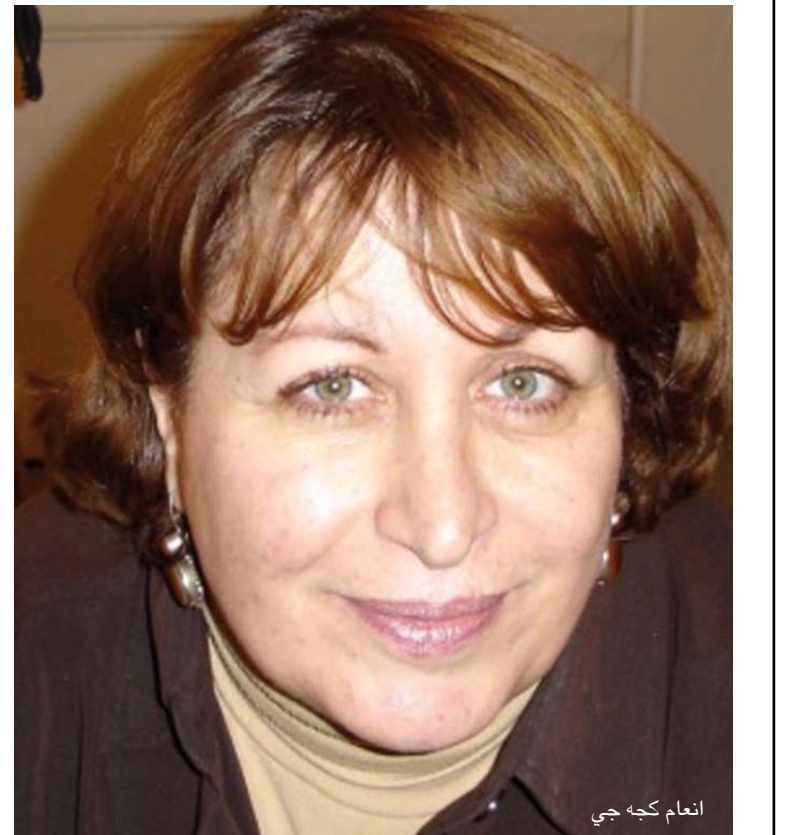
بغداد



صدرت " طشاري " ، رواية إنعام كچه جي ، في طبعتها الثانية عن " دار الجديد " عام 2014 وكانت طبعتها الأولى قد صدرت عام 2013 عن الدار نفسها ، ثم وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية " البوكر " ، وهي ثالث أعمالها الروائية بعد " سواقي القلوب " 2005 و " الحفيدة الأمريكية " 2008 وتنتظر صدور رواية جديدة لها بعد بضعة أشهر . تقع هذه الرواية في 251 صفحة من القطع المتوسط تتوزع على واحد وأربعين فصلاً قصيراً تنتقل الشخصيات والأحداث بينها تنقلا متواتراً ، وقد اختارت الروائية مقطع قصيدة السياب غريب على الخليج " الذي يقول : " لو جئت في البلد الغريب ليّ ما كمل اللقاء " المنلقى بك والعراق على يدي هو اللقاء " لتستعمل به الرواية وهو استعمال ينطوي على أكثر من دلالة ترتبط بأحداث هذه الرواية المفعمة بالحس الوطني . أما الإهداء فهو إلى " ماهي شماس " التي ربما تكون شخصية الدكتور " ودية اسكندر ، الشخصية الرئيسية في الرواية ، مما يشي بواقعية أحداثها . أما عنوان الرواية فتستعيره الروائية من المقولة الشعبية " طشاري ماله والي " التي تشير إلى التشتت والتوزع مثل طليقة الانجهايات ، وتفسر ذلك أنهم أهلي الذين تفرقوا في بلاد العالم مثل الطلق الطشاري " طشاري ماله والي " ترددها في تنوس في جلستها فيتهج صوتها لكنها تتناسك وتضحك لكي لا تبكي (ص 90) . فتفتح الرواية بوصول الثمانينية العراقية الدكتورة ودية أسكندر اللاجئة حديثاً في فرنسا ، إلى قصر الألبانيزه الرئاسي في باريس على كرسي متحرك ، مدعوة لحضور الاحتفاء باليابا الذي كان في زيارة إلى فرنسا ، وتجد من الحفاوة بها ولاسيما من الرئيس ساركوزي بشكل خاص ، ما أنشأها بعض ما

وهي رواية بوردية فإنها انتهت بها أيضاً . بدأت بها وهي في باريس وانتهت بها وهي في الموصل وبغداد والديوانية . إنها تستذكر الآن أيام بعدد في ظل الاحتلال الأمريكي . فقد تخلت عن عيادتها حين لم تعد تآمن على روحها هناك . دخل الأميركيان وملاّت أرتالهم الشوارع فسادت الفوضى بدل النظام واشتدت الريح الصفراء (ص 248) . وبدلاً من أن تسجل في ذاكرتها أسماء المواليد الذين ولدوا على يديها ، كانت ودية وهي في بغداد قد علقت على جدار مطبخها ورقة تسجل عليها أسماء القتلى من زميلاتها وزملائها ، من تعرفه ومن لا تعرفه (ص 249) . وكان هذا سبباً في هجرتها ، مختلفة وراءها الوطن الذي أحبته وسفحت سنوات عمرها فيه !

أسكندر هذا هو ابن الرواية التي هي الروائية نفسها ، وهو حفيد سليمان شقيق ودية الكبير المولع باللغة العربية ويتكلم بالفصحى (وهو عسكري) ولم يكن يرد على من لا يناديه باسم " سليمان " بالضم على السنخ . تنحو الرواية منحي سيرياً حيث يتم التأكيد بشكل خاص على سيرة شخصية رئيسية فيها وسيرة مدينة يدور فيها جزء مهم من الأحداث مع التعرض لجانب من تاريخ العراق السياسي المعاصر . أما الشخصية المعنية هنا فهي الدكتورة ودية التي عاشت طفولتها وصباهها في الموصل ، وشبابها في بغداد حيث أكملت دراستها الجامعية في الكلية الطبية دون رغبة منها فقد ساقها إليها معدلها العالي في الامتحان الوزاري مصحوباً برغبة أهلها ، وبشكل خاص ضغوط أخيها الكبير سليمان وكانت هي تتمنى أن تكون معلمة تشبهها بأختها . تم تعيينها ، بالقرعة ، طبيبة في مستشفى الديوانية وكانت خائفة وهي في القطار ، بصحبة أختها التي تكبرها سناً ، في أول سفرة لها إلى هناك ، لكنها فوجئت بحشد من المسؤولين والأطباء ووجهاء المدينة في استقبالها في المحطة ولم تكن تتوقع ذلك .



إنعام كچه جي